

الشباب الجامعي وتقليد مشاهد العنف الإخباري

أ . هامل وهبية -جامعة جيجل

الملخص:

اعتبرت الجامعة منذ القدم إلى يومنا هذا، مركزا لصناعة التفكير النخبوي وقيادة التغيير نحو الأفضل في أي مجتمع، تنبض بحملة الأفكار والإبداعات وأنوية التطوير والتجديد الفكري، من طلبة وأساتذة وباحثين ومفكرين، يرتادها الشباب الجامعي رغبة منهم في إرضاء فضولهم العلمي وتطلعا لعد يحمل الأفضل في مسارهم المهني، يصنعون به لبنة من لبنات التقدم في حياتهم، وفي بناء المجتمع من موقع عملهم في ذات الوقت، غير ان حال هذه المؤسسة ودورها، يتأرجح بين التغيير في المجتمع من داخله تارة، وامتصاص التغييرات ومستقبلا لها من الخارج تارة أخرى وهذا ما نحاول التركيز عليه في موضوعنا الحالي، الشباب الجامعي وتقليد مشاهد العنف الإخباري، انطلاقا من كون الشباب الجامعي العربي، عنصرا فعالا في صناعة التغيير من داخل الجامعة، الذي يفترض فيه ان يكون على نحو ايجابي وفعال وبأساليب عقلانية، لا تتحرف عن المسار الحقيقي للجامعة ودورها النخبوي الرائد في صناعة التغيير، غير ان الحال لم يكن كذلك، وهو ما إتضح جليا في تعاطي شبابنا الجامعي، مع ما سمي بالربيع العربي او الثورات العربية، التي كانت مادة دسمة وسبقا صحفيا متميزا للإعلام العربي، استثمر فيه عنصر الشباب وحال المجتمعات العربية المحققن في جميع الجوانب، لتبرز في مقدمة نشرات الاخبار على الفضائيات المرئية العربية والعالمية، مشاهد ومواقف عنف مختلفة كانت نموذجا اقتدى به شبابنا الجامعي وقلده في أحسن صوره، داخل وخارج اصوار الجامعات العربية، تستدعي من الباحثين والمختصين، التوقف عندها بالتحليل والتفسير.

Résumé :

Depuis de longues années, l'université est considérée comme le lieu le plus approprié pour produire des intellects et chercheurs, parmi ses enseignants et ses étudiants brillants. Ces étudiants surtout qui jouent un rôle prépondérant, dans le changement positif et le progrès de la science et de la société à la fois, et ce grâce à leur ambition et le grand souhait à construire de bon avenir individuel et commun: à l'intérieur ou à l'extérieur de cette institution. Mais en réalité le rôle de l'université est menacée, par la présence du danger qu'exerce sur elle les médias, dont la télévision est élément essentiel. L'agressivité est la principale conséquence de l'exposition répétée à la violence. Cette brusquerie, par ses images est devenue l'objet d'imitation, pour la jeunesse universitaire, car elle les influence , mais pas toujours dans le sens qui serait souhaitable. C'est l'état d'alarme pour les chercheurs, qui doivent étudier ce genre de phénomène socialement sérieux

Mots clé : la violence , la jeunesse universitaire, l'université, les médias, la télévision.

مقدمة:

تعتبر القنوات الفضائية - وخاصة بعد انتشارها عالميا - في مقدمة وسائل الاتصال الجماهيري ومن أبرزها؛ إذ تعد الأقوى والأقدر على نقل الأحداث والمعلومات والأخبار لحظة وقوعها، بهذه الميزة وغيرها أصبحت القناة الفضائية المرئية أحسن وسيلة لنقل الأخبار، حيث يشير "هنري كاسيرر" إلى أن للفضائيات الإخبارية، التي تبث أخبارها عبر شاشات التلفاز، دوراً لا مثيل له في نقل الأخبار وتغطية الأحداث والوقائع، فهذا الجهاز الصغير يلف العالم بسرعة كبيرة، ليقدم لنا الخدمة الإخبارية في منازلنا بصورة متكاملة، تعتمد مشاهدتها على الصوت والصورة والحركة واللون، تتشابه وتتطابق في ذلك مع الأحداث كما هي في الواقع.

وبإلقاء نظرة فاحصة على التراث البحثي العالمي في مجال الإعلام ولا سيما المرئي منه، نجد أن أغلب البحوث والدراسات أكدت على أهمية القنوات الفضائية، كمصدر من مصادر الأخبار، نتيجة لاعتماد المتلقين على هذه الوسيلة بالدرجة الأولى في تلقي الأنباء والأخبار، فعلى سبيل المثال وعلى الصعيد العربي، في سنة 1980 أجرى التلفزيون المصري دراسة لتقييم برامجها على عينة قوامها 4850 مفردة، فوجد أن نسبة 72.7% من هذه العينة يستقون أهم وأغلب الأخبار من التلفزيون، بينما نسبة 17.3% من عينة الدراسة تستقي أغلب الأخبار من المذيع، ثم نسبة 10% من العينة تعتمد على الصحف، ومن هذا المثال نجد أن نسبة الذين يتابعون أهم وأغلب الأخبار من التلفزيون، أعلى بكثير من نسب وسائل الإعلام الأخرى كالمذيع والصحف، أما على الصعيد العالمي، فقد أثبتت دراسة أجريت في أمريكا عن أكثر وسائل الإعلام مصداقية، أن ما نسبته 64% من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية، يتقون في الإذاعة

المرئية- التلفزيون في مقدمتها- ويعتبرونها هي المصدر الأول والأساسي والوحيد للأخبار. (2)

وهذا ما جعل المتلقي شيئاً فشيئاً يتنازل طوعاً، عن المصادر الإعلامية الإخبارية الأخرى، وهو مكنم الخطر؛ فالمعلومات والأفكار التي يستقبلها الفرد، خصوصاً النشء الجديد صاحب التجربة البسيطة، ستضعه تحت التأثير المباشر لوسائل الإعلام والاتصال المرئية، التي تثبت عن طريق: التلفاز، القنوات الفضائية، والأجهزة التكنولوجية المتطورة والمزودة بخدمات الانترنت كالحاسوب المحمول، الهاتف المحمول، الأيفون، الأيباد وغيرهم. (3)

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعضها- القنوات الفضائية الإخبارية على وجه التحديد في الآونة الأخيرة- لا تكف عن عرض أخبار القتل والعنف، إلى درجة أصبحت سياستها الإعلامية عرض أنباء وأخبار القتل والدمار والخراب والاعتداء فقط، وأسلوبها تسويق العنف على المستوى الإعلامي، أدركنا عظم دورها في تشكيل الاتجاهات والآراء، وصياغة القيم وتوجيه السلوك لملايين المشاهدين والمتلقيين، وهذا ما حرك اهتمامات الكثير من العلماء والباحثين والمختصين في مجال الإعلام وعلوم الاتصال، علم النفس وعلوم التربية، علم الاجتماع... الخ، لإجراء دراسات وأبحاث علمية، وجهت في البداية بشكل مباشر لدراسة العنف المتلفز وتأثيره على الأطفال والشباب، فأكدت في الكثير من

²: خالد خيريش، وسائل الاتصال الجماهيري، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس 28 أيلول 2006، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع: <http://www.annabaa.org/nbanews/59/211.htm>

³: محمد جواد سنبه، دور وسائل الإعلام في تنامي العنف والإرهاب، شبكة النبا المعلوماتية، الاثنين 23 تشرين الثاني 2009، تاريخ استخراج المقال: 2011/04/27، الموقع:

<http://www.annabaa.org/nbanews/2009/11/256.htm>

نتائجها، بأنَّ الفرد الذي يتعرض لمشاهد العنف، ولقطات الجريمة، يتأثر بحدود معيّنة تختلف شدتها تبعاً لعوامل متعددة. (4)

من هنا فإن العلاقة بين كثرة المشاهدة وقابلية ممارسة العنف، خاصة لدى فئتي الأطفال والشباب، الذين يحملون استعدادات نفسية ومجتمعية، حقيقة مؤكدة منذ القدم، فقد لُحِصَ (هانتي) الرئيس السابق للجنة الاتصالية الفيدرالية الأمريكية هذه النظرة إلى التلفزيون؛ إذ ذكر في دراسة حديثة له: انه ليس هناك جدل حول عنف وسائل الإعلام، وهو ما أكدته أكثر من ثلاثمائة دراسة أجريت قبل العام 1971، حيث أشارت إلى وجود علاقة قوية بين مشاهدة التلفزيون والسلوك العنيف والعدواني، والأمر سيان وينطبق على جميع وسائل الإعلام المرئية، بمختلف مضامينها العنيفة، وهذا ما سنحاول في هذا المقال التطرق إليه، بإبراز الأثر السلبي لمشاهد العنف المتلفز بشكل عام، والمرئي بشكل خاص عبر نشرات الأخبار والمحطات الفضائية الإخبارية المتخصصة. (5)

1- مدخل عام إلى العنف:

من حيث الاشتقاق اللغوي مفردة عنف (Violence) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Violanta) وتعني ينتهك أو يؤذي أو يعتصب، وهو استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة فرد ما. (6)

⁴: المرجع نفسه.

⁵: حسن علوان، موضوعة الإرهاب في الفضائيات العربية (دراسة في الشكل والمضمون)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) في فلسفة الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، 2008، ص (38).

⁶: أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص (125).

أما في اللغة العربية، فيعرّف العنف بأنه: « الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، وأعنف الشيء؛ أي أخذه بشدة، والتعنيف هو التفريع واللوم ». (7)

أما في موسوعة علم النفس فإن العنف هو: « السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه »، وبذلك يرى الأخصائيون النفسيون، أن العنف عادة ما يكون سلوكا بعيدا عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً، كالضرب التقتيل، التكسير، تدمير الممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره. في حين يحدد اغلب علماء الاجتماع مفهوم العنف في كونه: « استخدام الضبط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة فرد ما ». (8)

فإن العنف من سمات الطبيعة البشرية يتسم به الفرد والجماعة، ويظهر حيث يكفُ العقل عن قدرة الإقناع أو الاقتناع فيلجأ الإنسان لتأكيد الذات، ويقصد منه -العنف- في الغالب السيطرة أو التدمير، ومن ثمة يمكننا تحديد العنف بأنه استجابة سلوكية فردية أو جماعية، تتميز بطبيعة انفعالية شديدة، قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، وممارسة القوة أو الإكراه ضد الغير عن قصد.

وفي هذه الحقائق لا يخرج مفهوم العنف من دائرة الدراسات النفسية والاجتماعية، وهذا حصر غير علمي وغير كاف لمفهوم لطالما أسال حبر الكثير من المفكرين والعلماء والباحثين، نظريا وميدانيا في جميع مجالات المعرفة والعلم، لذلك أمكننا القول أن العنف مفهوم فلسفي، لأنه في ذات الوقت

7: ابن منظور، لسان العرب، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956، ص(257).

8: قدرة عبد الأمير، العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة (مالمو) بالسويد، رسالة ماجستير (غير منشورة) في علم النفس، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، أكتوبر 2008، ص ص (24،23).

سلوك ونزوع واعتقاد، حيث لم يعد العنف اليوم يحدد فقط في الممارسات الجسمانية، لأن تحديد المفهوم يمكن أن يمتد إلى جميع أشكال المنع والتأثير سواء أكانت ثقافية، أم سيكولوجية أم سوسولوجية... الخ. ومن هذا المنطلق نتساءل: فيم تتمثل أشكال العنف الأساسية؟

من المعلوم أن الحرب تعتبر من أشد المظاهر المعروفة للعنف، حيث تستباح فيها الحرمان والأعراض، علاوة عن الأشكال المتعددة من التعنيف الجسدي. وفي هذا الصدد يحدد "كلوزيفيتش" (Clausewitz)، أساس الحرب في الفعل الفردي باعتباره استعمالاً للقوة الجسمية، من أجل إرغام الخصم للخضوع لإرادة الفرد، وهكذا تتدخل العلوم لتوفر الوسائل للقوة، حتى تتغلب على القوة المضادة، ومن ثمة أمكن القول بأن الحرب لا تحمل حدوداً ذاتية دون تدخل التشريعات والقوانين، ومهما تنوعت أشكال القوة أو تعددت، سوف تظل مجرد وسائل لتحقيق غاية تتمثل في إخضاع الخصم.

أما "لورنز" (Lorenz) فإنه يريد أن يبين أن السلوك الحيواني يحمل في ذاته نزوعاً أصلياً نحو العنف، ومع ذلك تكونت لديه تحت قانون الاصطفاء الطبيعي آليات كابحة تجعله يتجنب القتل، ذلك أيضاً هو شأن الإنسان، فهو يحمل في ذاته ميلاً غريزياً إلى العدوان.⁽⁹⁾

وذلك ما يجعل معظم الناس ينسبون إلى العقل كل ما يحول بين الفرد وتحقيق مصالحه الموهلة في الفردانية. إن هذا الاعتقاد في نظر المفكر، يحمل بحسب الأخصائيين النفسانيين صدقاً نسبياً فقط، لأن المسؤولية العقلية

⁹: تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2007، ص ص(17،18).

والأخلاقية لن تستطيع كبح دوافع القتل لو لم يكن الإنسان يمتلك في ذاته وبشكل فطري، ميكانيزمات كابحة للعدوان والقتل. (10)

ويعتقد " بيير بورديو" (Bourdieu) أن هناك عنفا آخر ألا وهو **العنف الرمزي**، وهو عنف غير فيزيائي، يتم أساسا عبر وسائل التربية وتلقين المعرفة والإيديولوجيات، وهو شكل لطيف وغير محسوس من العنف، وغير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وجّه "بورديو" انتقادا كبيرا للفكر الماركسي، الذي تجاهل أشكال العنف الرمزي المختلفة، واهتم فقط بأشكال العنف المادي والاقتصادي، وفي هذا المجال يشير "بورديو" إلى أن العنف الرمزي يمارس تأثيره حتى في المجال الاقتصادي نفسه، كما أنه فعال ويحقق نتائج أكثر من تلك التي يمكن أن يحققها العنف المادي أو البوليسي.

إن العنف الرمزي يمارس على الفاعلين الاجتماعيين بموافقتهم وتواطئهم، لذلك فهم غالبا ما لا يعترفون به كعنف؛ بحيث أنهم يستدمجونه كبداهيات أو مسلمات من خلال وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية وأشكال التواصل داخل المجتمع، ومن هذه الزاوية يمكن حسب "بورديو" فهم الأساس الحقيقي الذي تستند إليه السلطة السياسية في بسط سيطرتها وهيمنتها؛ فهي تستغل بذكاء التقنيات والآليات التي يمرر من خلالها العنف الرمزي، والتي تسهل عليها تحقيق أهدافها بأقل تكلفة وبفعالية أكثر، خصوصا وأن هناك توافقا بين البنيات الموضوعية السائدة على أرض الواقع وبين البنيات الذهنية الحاصلة على مستوى الفكر .

هكذا يتبين أن العنف يتخذ شكلين رئيسيين؛ الأول هو **العنف المادي** والثاني هو **العنف الرمزي**، من هنا يبدو أنه من المستحيل الحديث عن مجتمعات إنسانية خالية من العنف؛ فهو ظاهرة أكيدة في تاريخ المجتمعات

¹⁰: المرجع نفسه، ص (19)

البشرية، تأخذ أشكالاً وصوراً تتغير من زمن لآخر تحت مسميات متنوعة، فهذا باحث يتحدث عن العنف المدرسي، وآخر يشير إلى العنف ضد المرأة، ويهتم آخرون في البحث عن مسببات ونتائج العنف الجنسي... الخ، كل حسب مجال تخصصه وتبعاً للمشكلات الملحة التي تطرح نفسها كموضوع للبحث والدراسة، ولعل ما استوقفنا في موضوع العنف وأشكاله، العنف عبر وسائل الإعلام، وبالتحديد العنف المرئي في القنوات الفضائية الإخبارية، وأثاره السلبية على الأطفال والشباب، الذي تشجعه وتدعمه هذه القنوات بشكل مباشر أو غير مباشر، بشكل مادي أو بشكل معنوي رمزي، ويلجأ أطفالنا وشبابنا ومنهم الجامعي إلى تقليده والافتداء به. (11)

وعليه نقصد بالعنف المرئي الإخباري: «كل المشاهد والأبناء والأفكار والسلوكيات؛ التي تثبت ويروج لها عن طريق نشرات الأخبار (الأبناء) أو الحوارات والنقاشات، المباشرة أو غير مباشرة، الصريحة أو الضمنية الرمزية (المعنوية)، المنقولة عبر المباشر أو المسجلة، عبر الفضائيات الإخبارية المرئية المتخصصة».

2- تاريخ العنف المرئي:

يرجع تاريخ مناقشة موضوع العنف المرئي، إلى أواخر الخمسينات من القرن المنصرم بجلسات عقدها الكونجرس الأمريكي، لمحاولة معرفة مدى تأثير العنف المعروف عبر التلفزيون على المتلقين، وفي الستينيات من القرن المنصرم نبهت لجنة "إيزنهاور"، إلى أن العنف المرئي بشكل عام والمتلفز

¹¹: محمد الشبية، **العنف**، تاريخ استخراج المقال: 2011/04/11، الموقع:

[http://search.4shared.com/q/20/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%](http://search.4shared.com/q/20/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%81)

بشكل خاص، عامل مساهم يساعد إلى حد كبير على نمو ثقافة العنف بين شرائح المجتمع، وفي سنة 1972 صدر تقرير عن وزير الصحة الأمريكي يُظهر قلقاً حول تأثير عنف التلفزيون على الأطفال وتغيير أنماط سلوكهم، وفي الثمانينيات أصدر المعهد الوطني الأمريكي تقريره الذي خلص إلى نفس نتائج تقرير وزير الصحة الصادر في 1972، أما التقارير اللاحقة في التسعينيات الصادرة عن الجمعية النفسية الأمريكية والجمعية الطبية الأمريكية والأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، خلصت لنفس النتائج السابقة ونهت بشكل عام إلى أن العنف عامل يساعد على نمو ثقافة العنف في المجتمعات، وخلال هذه الفترة الزمنية، التي دُرست فيها ظاهرة العنف الإعلامي - في أمريكا وحدها - يمكن تلخيص ثلاثة تأثيرات رئيسية يتأثر بها المتلقي كنتيجة للعنف الإعلامي وخاصة المتلفز هي: العدوان وعدم الإحساس والخوف.⁽¹²⁾

أما في العالم العربي والإسلامي، الذي شهد انتشاراً هائلاً للقنوات الفضائية في السنوات الأخيرة؛ فعندما بلغ عدد القنوات العربية 696 (تقريباً) منها 96 تتبع الحكومات العربية، وتتنوع موضوعاتها وبرامجها على مجموعات متنوعة فهناك ما نسبته 4,23% من قنوات المنوعات، وهي أعلى نسبة بين القنوات المتخصصة، تليها الدراما والمسلسلات بـ 13,8% ثم قنوات الرياضة بـ 11,4% وأخيراً القنوات الإخبارية بنسبة 8% (وفي دراسة أخرى 5%).⁽¹³⁾ وقد أشارت دراسة أجريت في أواخر التسعينات، إلى أن مشاهد العنف

¹²:خالد خيريش، تاريخ العنف الإخباري، شبكة النبا المعلوماتية، الأحد 26 تشرين الثاني 2006، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:

<http://www.annabaa.org/nbanews/60/322.htm>

¹³ سعيد عبد الله حارب، الإعلام القيمي ونشر القيم في المجتمع، ندوة مستجدات الفكر الإسلامي التاسعة، تحت شعار:- (الإعلام القيمي .. بين الفكر والتجربة)، الكويت، 7-9 مارس 2011. ص (2).

والاعتداءات، احتلت المركز الأول بين محتوى برامج التلفزيون المصري، وذكرت الدراسة أن نحو 97 % من أفلام الرسوم المتحركة الواردة من الخارج، تحوي كما كبيراً من مشاهد وأفكار العنف.⁽¹⁴⁾

في نفس السياق أجرى برنامج (حوار العرب) الذي عرضته قناة الأخبار الفضائية العربية، بتاريخ 2008/5/8 لمناقشه موضوع الإعلام والإرهاب، استفتاء للطلبة المشاركين فيه -على الهواء مباشرة- ونشرت تفاصيله على (العربية نت)، والذي أكدت من خلاله، إجابات معظم المبحوثين (48%)، أن التلفزيون هو الوسيلة الإعلامية الأكثر نشراً للدعاية الإرهابية. (في إشارة ضمنية وكذلك صريحة لنشر مظاهر العنف المادي والرمزي، على شاشات التلفزيون والمحطات الإخبارية بالتحديد).⁽¹⁵⁾

والموضوع ما يزال قيد الدراسة والبحث، مع ما يستجد من مظاهر ومشكلات في موضع العنف المتلفز عامة والمرئي عبر الفضائيات الإخبارية خاصة.

3- العنف المرئي وتأثيره على الأطفال والشباب:

إذ حاولنا التحدث عن العنف المرئي الذي يبيث عبر شاشات التلفزيون، فالمؤكد أنه منذ دخول التلفزيون إلى حياة الإنسان على يد عالم الفيزياء الأمريكي (الروسي الأصل) "فلاديمير كوزما زوريكين" عام 1924⁽¹⁶⁾ شهدت البشرية نقلة نوعية في مجال الإعلام والاتصال، الذي ازداد تطوراً مع التقدم العلمي والتكنولوجي، وازداد في المقابل تأثيرها على جميع فئات المجتمع باختلاف

¹⁴.العنف لدى الشباب، تاريخ الزيارة: 09/05/2011، الموقع:

<http://www.tebyan.net/society/theyouthworld/2004/5/15/28301.html>

¹⁵ : حسن علوان، مرجع سابق، ص(38)

¹⁶ : سعيد عبد الله حارب، مرجع سابق، ص (4).

أعمارهم وخاصة الأطفال والشباب، وأسهم التلفزيون بما لا يقبل الشك بناتنا، في نشر وتكوين وترسيخ ثقافة وسلوكيات وقيم، يجمع اغلب الباحثون والأخصائيون أنها سلبية ومدمرة للكيان التربوي والاجتماعي والثقافي لأي مجتمع، ومنها المجتمعات العربية الإسلامية، ذات الحضارة والقيم الضاربة في التاريخ والأصالة، ويتعاضم هذا التأثير بازدياد ساعات المشاهدة والإقبال على البرامج غير هادفة وغير تربوية، والتي لا تخضع للرقابة أو العقلنة والترشيد، فقد جاء في إحدى الدراسات العلمية الحديثة أن نسبة 69 % من الجمهور العربي يشاهدون الفضائيات لمدة أربع ساعات يومياً، وأن 31 % منهم يشاهدونها لمدة ثلاث ساعات يومياً، و 34.5 % منهم يشاهدونها لمدة ساعتين و 15 % منهم يشاهدونها لمدة ساعة واحدة يومياً. (17)

كما وجدت دراسة مصرية أن أطفال مدينة القاهرة، يشاهدون التلفزيون 28 ساعة في الأسبوع. (بمعدل 4 ساعات يومياً)، وبهذا تحول التلفزيون من وسيلة ترفيهيه تستخدم لوقت محدد في اليوم إلى بديل لجلسة الأطفال وجلسة المسنين والأب والأم أحياناً، وبدلاً من الـ35د التي ينصح علماء النفس والاجتماع والأطباء، بألا يجتازها الأطفال في مشاهدة التلفزيون في اليوم الواحد، أضحى الأطفال في مصر يمضون بين 3 و4 ساعات في اليوم الواحد، وتزيد المدة في العطلات الصيفية بشكل ملحوظ. (18)

في نفس السياق صدر تقرير مصري من منظمة "اليونيسيف" عنوانه وضع الأطفال والنساء المصريين (2002)، يبين أن 97 % من الناشئة تشاهد

17 : سعيد عبد الله حارب، المرجع نفسه، ص (6).

18 : العنق لدى الشباب، تاريخ الزيارة: 09/05/2011، الموقع:

التلفزيون، ولا يُوجه للأطفال منها سوى 7% من البرامج الخاصة بهم، مما يعني أن الطفل قد يجد فرصاً كثيرة لمتابعة برامج الكبار بمفرده أو معهم.⁽¹⁹⁾

وفي دراسة أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، حول معدلات تعرض الأطفال العرب للتلفزيون، أشارت إلى أن الطفل العربي قبل بلوغه سن الثامنة العشرة، يكون قد أمضى أمام شاشة التلفزيون 22,000 ساعة، في حين يقضي 14,000 ساعة في قاعات المدرسة، هذا إذا علمنا أن نسبة الذين يشاهدون التلفزيون ما بين سن الثامنة والخامسة عشر بلغت 99.9%، وأن هؤلاء الأطفال يقضون جزءاً كبيراً في مشاهدة التلفزيون دون رفقة من أهلهم. ولعل الأرقام تشير إلى أن أطفال اليوم، حين يبلغون عامهم السبعين يكونون قد قضوا (سبعاً وعشرين 27) سنة أمام شاشة التلفزيون.⁽²⁰⁾

وفيما يخص وضع الشباب والمراهقين فالأمر يكاد يكون مأسوياً كسابقه، فقد كشفت دراسة (حواس 1999)، حول المستوى الثقافي للطلاب، إذ أن معظم الطلاب والشباب لا يقرؤون الصحف المحلية مطلقاً، في حين بلغ متوسط ساعات الجلوس أمام التلفاز 6 ساعات يومياً⁽²¹⁾، وحسب دراسة (البياتي 2006) حول التأثيرات الاجتماعية المحتملة للتلفزيون على الشباب، فإن نوعية البرامج المفضلة لدى الشباب تتوزع بين 4.5% البرامج الإخبارية و4% التربوية والتعليمية و9.5% المسرحيات و10.5% الدينية و14% الرياضية و26%

¹⁹: المرجع نفسه.

²⁰: سعيد عبد الله حارب، الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية تكامل أم تناقض؟، ص (6).

²¹: محمود حواس، العالم العربي والأمية الثقافية: ص (5)، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/19،

<http://www.vb.eqla3.com/showthread.php?t=225075>

الموقع:

للأغاني والموسيقى و8% لأفلام العاطفية و11% لأفلام العنف والجريمة و4.5% للبرامج الثقافية و8% لأفلام الرعب.(22)

قد لا يدل الرقم 11% على شيء قياسا بالنسب السابقة، لكن الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل والشرح، ولعل الكلام يكون أوضح وأقرب إلى الفهم، إذا علمنا أن تقريراً حول "تأثر عنف التلفزيون" جاء فيه: أجرى أحد المواقع الإلكترونية الكندية والمسمى **ijz** استطلاعاً لآراء 100 شاب كندي، يعيشون في مدن مختلفة من (كيبك) و(ياسينت)، دارت أسئلته حول التلفزيون وما ينتج من أفلام تعرض على العنف وتبعث عليه، فكانت بعض الإجابات على الشكل التالي: (23)

الاستجابة		السؤال
لا	نعم	
42%	58%	إذا كنت تحضر أفلام العنف، هل هذا يجعلك تقوم بحركات عنيفة تقلد بها ما شاهدته عبر التلفزيون؟
38%	62%	هل ما نشهده اليوم في العالم من أعمال عنف لدى الشباب سببه التلفزيون؟

وكان الاستنتاج العام الذي خرج به هذا الاستطلاع، يفيد بأن أفلام العنف تولد لدى الشباب غريزة التقليد، فيقلد بطل الفيلم بحركاته، وبما يقوم به من أعمال عنيفة وتدمير وقتل وحرق، كما أن الشباب يعترفون بالتأثير الجامح

22: ياسر خضير البياتي، التأثيرات الاجتماعية المحتملة للتلفزيون على الشباب، مجلة شؤون اجتماعية، عدد90، ص (133).

23: وجيهة ثابت العاني، اهتمامات الشباب الثقافية المعاصرة، مؤتمر الأطفال والشباب في مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، التصدي لتحديات التعليم دبي 16-18 مايو، 2005.

للتلفزيون عليهم، وإفراطهم في مشاهدة أفلام العنف على التلفزيون دون غيرها من الأفلام، حيث أكد 42 % منهم أنهم يحبذون أفلام العنف، في حين أن محبي الأفلام الكوميديية كانوا 6% والأفلام العاطفية 26%، وأفلام الرعب كان معجبوها يشكلون 26% من مجموع الشباب الذين أجرى عليهم الاستطلاع، وإذا جمعنا النسبة المئوية لأفلام العنف مع النسبة المئوية لأفلام الرعب نحصل على 68% من الشباب الذين يفضلون مشاهدة أفلام العنف. (24)

أما الشباب العربي حسبما أشارت إليه دراسة (البياتي 2006) فيري 3%، منهم أن التلفزيون يؤدي إلى انتشار الجريمة، في حين يعتقد 55,5% منهم أن التلفزيون يؤدي إلى انتشار الكثير من الظواهر السلبية منها أن التلفزيون يؤدي إلى: الكسل والتراخي، شيوع الرذيلة، يؤثر سلباً على المستوى الدراسي، شيوع الاستهلاك في حياة الفرد والأسرة، تقليد نجوم التمثيل والأفلام والمسلسلات في سلوكهم، يشيع ظواهر الموضة وقص الشعر، يشيع المفردات والكلمات والألفاظ السلبية (وذلك بنسب متفاوتة بين هذه الظواهر) (25).

أما "عبد الرحمن العيسوي" فقد أشار في دراسة له حول الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون، أنه يؤدي إلى سلبيات كثيرة منها أن 41% من المشاهدين يتأثرون بمشاهدة الجريمة والعنف. (26)

جميع البحوث السيكولوجية والسوسولوجية، أن ظاهرة تقليد النماذج العنيفة في التلفزيون تتولد عند الأطفال والشباب الذين يكثر من مشاهدة هذه النماذج، حيث يرون في المضمون التلفزيوني على أنه الحقيقة والواقع، ويأتي

24: المرجع نفسه.

25: ياسر خضير البياتي، مرجع سابق، ص(133).

26: سعيد عبد الله حارب، الإعلام القيمي ونشر القيم في المجتمع، مرجع سابق، ص(8).

ذلك نتيجة الاستمرارية في متابعة ما يبثه التلفزيون بشكل مكثف، وعدم الاحتكاك مع العالم الخارجي بنفس الكثافة والاستمرارية. (27)

كما أن مشاهدة العنف الجسmani والقسوة البدنية ومختلف مظاهر العنف وبالأخص المادي منه، تؤدي على المدى الطويل إلى تبدل الإحساس بالخطر، وإلى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعض مواقف الصراعات، أو ممارسة السلوك العنيف ذاته.

4- النظريات المفسرة لانتشار العنف المرئي ومبرراته:

هناك مداخل نظرية عدة حاولت إعطاء تفسيرات لأشكال العنف المتنوعة، من ضمنها العنف المرئي بشقيه المادي والرمزي، والمبررات الكامنة وراء انتشاره على الشاشات والمرئيات بمختلف أنواعها أبرزها التلفاز، من هذه المداخل أو النظريات نذكر:

4-1 نظرية التعلم والتقليد (التعلم الاجتماعي):

يعتبر الباحث "ألبرت بَندوره" (Bandura) من أبرز رواد هذه النظرية، إذ يرى بأن أفضل طريقة لتعليم الأطفال والشباب وتلقينهم التصرفات الصحيحة، هي أن تعرض أمامهم التصرف المطلوب كنموذج للتقليد، مدعماً بأسلوب العقاب والثواب، وبالتالي السؤال المركزي الذي حاولت هذه النظرية الإجابة عنه هو: هل العنف أمر مُكتسب يمكن للإنسان تعلمه؟ وتجب هذه النظرية على هذا السؤال بادعائها بأن التعرض للعنف بكثرة قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى تقليد العنف وتعلمه من قبل المشاهدين، فالأطفال الذين يتعرضون لمضامين عنيفة يظهر من خلالها العنف، كتصرف وسلوك صحيح ومرغوب به يتعلمون

27: عبد الرحمان العيسوي، علم النفس الحديث (اضطرابات الطفولة وعلاجها)، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000، ط1، ص (24).

التصرف بعنف، خصوصا عند تعلقهم بشخصية معينة مثل شخصية البطل، فيحاولون تقليدها وتقليد تصرفاتها تقليدا أعمى، أو تقليدا يحاكي ويشابه الموقف والسلوك الأصلي، بينما الأطفال الذين يتعرضون لمضامين يكون فيها العنف أمر غير مقبول ويوجب العقاب لمستخدميه، يتعلمون رفض مثل تلك التصرفات العنيفة، والأمر سيان بالنسبة للشباب، وهذا ما أكدته دراسات عديدة أجريت حول موضوع العنف المتلفز، ودور وسائل الإعلام المرئية في نشر مظاهر العنف، من خلال المضامين التليفزيونية المتعددة- كما وضعنا ذلك سابقا- (28)

4-2 نظرية التطهير (التنفيس):

إدعى "أرسطو" قديما، بأن الدراما وسيلة هامة للتنفيس عن الهموم، المخاوف، الضغوطات والأحزان... الخ، وانطلاقا من ذلك ترى هذه النظرية بأن التعرض للعنف (مشاهدته) في وسائل الإعلام المرئية، يقلل من استخدامنا للعنف فعليا في الحياة اليومية، لأننا نُطهر أنفسنا من العنف بواسطة مشاهدة العنف في التلفاز، ولأنه يساعدنا على التخلص من ضغوطاتنا النفسية وأفكارنا السلبية، وبالتالي نقلل من استخدامنا للعنف أو حتى مجرد تفكيرنا به. (29)

وانطلاقا من هذه الأفكار قد يجد البعض في هذه النظرية مبررا أو سببا يدفعه للإقبال على المشاهدة وإدمان البرامج التليفزيونية العنيفة والمرعبة، كالأفلام أو الرسوم المتحركة أو الأخبار... الخ.

4-4 نظرية التحفيز:

هذه النظرية تختلف عن سابقتها بادعائها، أن التعرض لمضامين عنيفة في التلفاز تحفز (توقظ) مشاعر قد تقود إلى استخدام العنف، فكثرة التعرض

28: المرجع نفسه، ص (24)

29: قدرة عبد الأمي، مرجع سابق، ص (51).

للغف في وسائل الإعلام المرئية، يُحفّز المشاهدين على التصرف العنيف، حيث تزيد من ضغوطاته النفسية وتشحنه بطاقة سلبية كبيرة وأفكار عنيفة، وبالتالي التصرف العنيف الذي قد ينتج عن المشاهد سيكون سببه التحفيز على العنف وليس تقليدا له.

4-4 نظرية التعزيز:

تدعي هذه النظرية بخلاف النظريات الأخرى، بأن العنف في وسائل الإعلام المرئية، يعزّز من التصرف العنيف عند بعض المشاهدين جراء التعرض لمشاهد عنيفة، لأن هؤلاء بطبيعتهم يميلون إلى العنف، بينما المشاهدين الغير عنيفين بطبعهم، فإن تعرضهم للمشاهد العنيفة لا يؤثر في تصرفاتهم، ولا يجعلهم يتصرفون بعنف، وعليه بحسب هذه النظرية العنف لا ينفجر بعد مشاهدة العنف في أية وسيلة مرئية مهما كانت طبيعتها، ولكن هو نتيجة للبيئة التي تربي ونشأ فيها المشاهد، وهذا متعلق بالتقاليد الاجتماعية والأفكار التي ترعرعوا ونشؤ عليها، مثال: رجل يضرب زوجته أو آباء يضربون أبناءهم- قد تعرضوا من قبل للضرب والتعنيف، وليست مشاهدة التلفاز أو وسيلة أخرى هي التي علمتهم التصرفات العنيفة. (30)

5- العنف المرئي الإخباري وتقليد الشباب الجامعي العربي لبعض مظاهره:

تمتلك وسائل الإعلام الجماهيرية، خاصة المرئية منها والمتلفزة، إمكانات مهمة تستطيع من خلالها التأثير على الجمهور المتلقي، فهي تستطيع تكوين قناعات جديدة وتفنيد أخرى قائمة، وإضفاء الشرعية على أمر ما من خلال الإقناع وحشد الطاقات باتجاهه، كما أن هذه الوسيلة تستطيع أن تخلق نوعاً معيناً من الجمهور، يؤمن بما تطرحه حتى وإن كان يخالف قناعاته، حيث أن

³⁰. المرجع نفسه، ص ص (51،52).

الاتساق بين ما يُطرح وتكراره والعرض بإضفاء عنصر التشويق والإقناع، يرسخان الفكرة المطروحة ويجعلانها مقبولة للتصديق والإيمان بها من قبل الجمهور المستهدف. (31)

وتساهم وسائل الاتصال المرئية، بشكل عام في التأثير المتدرج على الفرد المتلقي، من حيث تكوين فكره التربوي والاجتماعي والسياسي والثقافي، من خلال إمداده بالمعلومات والمعارف وصولاً إلى تشكيل آراءه ومعتقداته واتجاهاته، ومن ثمة سلوكه داخل المجتمع، فلثنائية الصوت والصورة والخطاب المباشر، مقدرة كبيرة على خلق إحساس لدى المتلقين، بأنهم وجهاً لوجه مع من يتحدث إليهم، ويملكون أيضاً اتصالاً بصرياً وهمياً معه، وهكذا يتم صنع واقع جديد للحدث، يُقدم للجمهور ويجلب انتباههم، حتى ولو كان ما يُقدم شيئاً مخالفاً للواقع.

إضافة إلى أن الإفراط في التغطية الإعلامية، يترك لدينا انطباعات تجعل الحدث مهماً وحقيقة قائمة، لا تقبل التكذيب، فإنه ليس على المتلقي، أن ألاّ يصدق ما ينقله التلفزيون أو المرئية بشكل عام، من صور بسيناريو محكم ومضمون معقول، يستطيع أن يوحد الآراء حول مشكلة أو قضية ما، صف إلى ذلك فإنه لا توجد لهذا الجمهور مصلحة شخصية في مقاومة أو رفض ما يُعرض عليه، وهنا يلقي المضمون المرئي الأكثر جدية ووضوحاً وبعداً التجاوب الأكبر من قبل الجمهور، خاصة إذا كان هذا الجمهور لا يتلقى معلومات منافسة من مصادر إعلامية أخرى، قد تنقص من مصداقية ما يشاهده، وبهذا فالجمهور المتلقي قد لا يصغي إلى أية وسيلة إعلامية أخرى، إذا كان ما تقوله

³¹: انتصار إبراهيم عبد الرزاق وصفي حسام الساموك، الإعلام الجديد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 2011. ص ص (110، 111).

مخالفاً لما تقوله الصورة والصوت معا، فهي تعبر عن ما تعجز عنه الكلمات، وهذا ما يجعل المرئية عامة والتلفزيون خاصة، في أحيان كثيرة عاملاً مساعداً في صنع الأحداث بل ومشاركاً فيها أيضاً. (32)

من هنا فإن إدراكنا لبعض الحقائق ككون التلفزيون لا ينقل في أحيان كثيرة الحقيقة كاملة، أو انه يوهم المشاهد بحقائق خيالية لا وجود لها على ارض الواقع، يجعلنا نقبل بفرضية: أن التلفزيون يمارس تأثيراً هاماً على تشكيل وتحديد موقف الجمهور وسلوكه، ومن هذه المواقف والسلوكيات ما يتعلق بالتحريض على أعمال العنف، سواء كان مادياً مباشراً أو رمزياً غير مباشر، وتقليد ما تمت مشاهدته على شاشة التلفزيون من مظاهر عنيفة مختلفة، هذا التقليد الذي يعني في علم النفس التربوي؛ اكتساب السلوك والتصرف من خلال تقليد نموذج مثالي، يعجب به المشاهد وخاصة الشباب.

ونخص بالذكر في معرض الحديث عن النماذج وتقليدها، نماذج وصور العنف والتخريب والتدمير والسلوكيات المستفزة التي تساهم القنوات الفضائية الإخبارية العربية والعالمية، في بثها ودعمها بالصور والتحليل والنقاش واستخدام أحدث التكنولوجيات والفنيات في العرض والتغطية.

واللافت للأنظار أن موضوع العنف المعروض عبر نشرات الأخبار المرئية أو المتلفزة، لم يخضع للدراسة بشكل كافٍ، ويمكن القول إن أول اهتمام بموضوع العنف في نشرات الأخبار، كان في كتاب تضمن تقريراً جرى إعداده بطلب من وزير الثقافة الفرنسي "جان جاك ايرون"، وساهم فيه عدد مهم من الأخصائيين في ميدان الإعلام المرئي، من علماء نفس واجتماع ومحامين

³². حسن علوان، مرجع سابق، ص ص(52،53).

وغيرهم، وكانت الملاحظة الأولى التي تم التأكيد عليها والانطلاق منها في هذا التقرير.

تتمثل في الاعتراف بتعاظم ظاهرة العنف في مختلف قطاعات المجتمع الفرنسي، وبدأ واضعو هذا التقرير بطرح بعض التساؤلات الجوهرية حول الآثار الاجتماعية والنفسية والسياسية، لتعاظم جرعة العنف في البرامج المرئية بما في ذلك نشرات الأخبار، وهذه أول إشارة مباشرة لأهمية دراسة موضوع **العنف في نشرات الأخبار المرئية**، وانطلاقاً من هذه الإشارة حضي موضوع العنف الإخباري، باهتمام كبير من قبل العديد من الخبراء والصحفيين والمسؤولين الإعلاميين في بعض وسائل الإعلام العالمية، المشاركين في القمة العالمية لمجتمع المعلومات، التي جرت أعمالها في **جنيف** بتاريخ 11 ديسمبر 2003، إذ سيطر موضوع العنف في وسائل الإعلام، على العديد من الندوات والنشاطات في هذه القمة، ولعل أبرزها ندوة **(العنف في العالم والعنف في الإعلام)**، التي نظمها المنتدى العالمي لوسائل الإعلام الالكترونية، وشارك فيها صحفيون وخبراء ومسؤولون عن وسائل إعلام، في بعض المؤسسات الإعلامية العالمية؛ وقد تناولت الندوة التصنيفات المختلفة للعنف في المجال الإعلامي، بالإضافة إلى الآثار الممكنة لمشاهد العنف الإخباري وخاصة على الأطفال والشباب، وأكدوا في النهاية على أهمية التمييز بين مصطلحين هما: **العنف الترفيهي والعنف الإخباري**، وأكدوا أيضاً على أن مفهوم العنف الإخباري لم يخضع للدراسة بشكل علمي. (33)

وقد قفز هذا الموضوع - **العنف الإخباري المرئي** - في الساحة العربية إلى واجهة الأحداث والاهتمامات العلمية مرة أخرى، بعد الأحداث الاجتماعية

33. خالد خريش، مرجع سابق.

والاقتصادية والسياسية المتفجرة في المجتمعات العربية مؤخرًا، وكان طابعها المميز الاحتجاجات والإضرابات والتخريب والتكسير، للممتلكات العامة والخاصة، في عدد من الدول العربية، إذ كانت الانطلاقة من تونس والجزائر ثم مصر، اليمن، ليبيا، الأردن، البحرين، السعودية، المغرب، سوريا... الخ، والقائمة مفتوحة على احتمالات عدة، مادام الوضع غير مستقر نسبيًا في الكثير من المجتمعات والدول العربية، وما كان ملفتا للانتباه وأثار دهشة الجميع، فئة الشباب الذين كانوا في طليعة مفجري هذه الأحداث، ويُعد معظمهم من خريجي الجامعات وحملة الشهادات. (34)

الموضوع ما يزال مطروحا ومفتوحا للنقاش من عدة زوايا، وما يستوقفنا في هذه الأحداث، ليس الاهتمامات السياسية أو الإعلامية البحتة، بل هو اهتمام علمي موضوعي بظاهرة اجتماعية تربوية نفسية وأيضًا ثقافية، استدعت التوقف عندها بكثير من الملاحظة والتأمل والتحليل، لمجموعة من السلوكيات الصادرة عن الشباب العربي ومنهم الجامعي، في محاولات لتقليد نماذج العنف التي اجتهدت القنوات الفضائية الإخبارية لمرئية في تغطيتها ومتابعتها وتحليلها وتفسيرها، بعيدا في كثير من الأحيان عن معايير المهنية والاحترافية والموضوعية، مستغلة في ذلك مجموعة من العوامل، ربما كان أهمها التشابه القائم في أوضاع الشباب العربي في مجالات عدة من المحيط إلى الخليج.

ففرط التغطية والمبالغة في إيصال المعلومات والحقائق وتكرارها، تحت ذرائع ومبررات مختلفة، جعلت هذه الفضائيات المتخصصة، تقوم بدورها المعتاد الذي اشرنا إليه سابقا، وهو خلق واقع جديد يجلب الانتباه وكثرة المتابعة

³⁴: محمد حميد الصواف، قناة الجزيرة دأينو الانتفاضات العربية، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس 3 شباط 2011، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:

<http://www.annabaa.org/nbanews/2011/02/037.htm>

والمشاهدة، والإقدام على تقليد نماذج وسلوكيات عديدة، من بينها تلك التي تحمل في طياتها مضامين صريحة وغير صريحة لظاهرة العنف، فأضحت الأماكن العامة والساحات الشهيرة مسرحاً، لمشاهد عنف تحاكي في إخراجها نظيراتها على شاشات التلفزيون، من أفلام وبرامج وثائقية وبرامج إخبارية.⁽³⁵⁾ وأخذت الجامعات كغيرها من الأماكن دورها في احتضان بعض هذه المظاهر: كرفع الشعارات، التفسير والتخريب، الإضرابات والاحتجاجات، المسيرات، الشجارات، والمواجهات... الخ، يقودها شباب جامعي تأثر عبر نشرات الأخبار المرئية، والتغطية الإعلامية لهذه الأحداث، بشباب سبقه في ذلك، واخذ السبق التاريخي والإعلامي. وفي هذا الصدد يقول "علي راضي حسانين" * : «.. يرجع الخوف من نشر العنف والجريمة من خلال وسائل الإعلام المرئية، إلى أن المشاهدين يقبلون عليها بشكل أكثر من غيرها...». وأوجز أهم الآثار التي تتركها مشاهدة العنف المرئية عامة والإخبارية خاصة على النحو التالي:

1. رفع حدة الآثار النفسية والعاطفية عند الفرد، مما قد يقود إلى ارتكاب سلوك عنيف تجاه الآخرين. ويتوقف سلوك الفرد العنيف (أي استجابته للمشاهدة)، على مدى إحساسه وشعوره بالإحباط والضيق والتوتر.
2. تعزيز السلوك القائم بالفعل داخل الفرد، حيث تعمل مشاهدة العنف المتلفز على تعزيز وتدعيم السلوك الموجود أصلاً عند المشاهد، وذلك لأن الشخص العنيف بسبب دوافع العنف داخله، يرى السلوك العنيف المتلفز على أنه تجربة حقيقية.⁽³⁶⁾

³⁵. قناة الجزيرة وازدواجية الطرح الاعلامي، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس 5 أيار 2011، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:

<http://www.annabaa.org/nbanews/2011/05/068.htm>

³⁶. خالد خيريش، مرجع سابق.

3. الآثار النفسية والعاطفية عند الفرد، مما قد يقود إلى ارتكاب سلوك عنيف تجاه الآخرين. ويتوقف سلوك الفرد العنيف (أي استجابته للمشاهدة)، على مدى إحساسه وشعوره بالإحباط والضييق والتوتر.

4. تعزيز السلوك القائم بالفعل داخل الفرد، حيث تعمل مشاهدة العنف المتلفز على تعزيز وتدعيم السلوك الموجود أصلاً عند المشاهد، وذلك لأن الشخص العنيف بسبب دوافع العنف داخله، يرى السلوك العنيف المتلفز على أنه تجربة حقيقية.

كما أثار "عبيد السهيمي*" في مقال له نشر على شبكة المعلومات الدولية؛ إلى أن الأخبار العربية أصبحت فيلماً «هوليوودياً» لا نهاية له، يحتوي على مشاهد دمار حقيقية ومناظر دماء تخثرت عند قاعدة الكاميرا التلفزيونية، التي أدمنت نقل مشاهد الدماء والقتلى، كوجبة إخبارية تقدمها تلك القنوات لمشاهديها، من خلال النشرات الإخبارية، من دون أن تكلف نفسها عناء التحذير من بشاعة هذه المشاهد، والتي بدون شك تترك أثراً بشكل أو بآخر في نفسية المشاهد، سواء كان طفلاً أو راشداً رجلاً أو امرأة، هذا الأثر قد يكون نشاطاً عنيفاً يتضرر منه المجتمع مستقبلاً... (37)

على نفس النهج تابع العالم عبر البث المباشر هجوم 11 سبتمبر 2001، حيث وصلت نشرة الأخبار إلى قمة الإثارة كبرنامج يجمع بين كل عوامل التشويق والإبهار بالشكل الذي فاق خيال السينما الأمريكية، فلم يتصور أحد أن ضرب مبنى **البنجاجون** يمكن أن يحدث في الواقع، وبنفس الطريقة تابع الناس عبر نشرات الأخبار ضرب **أفغانستان**، مشاهد احتلال

* : عضو في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب المصري، وكاتب وباحث في مجال وسائل الإعلام والمجتمع.
37. المرجع نفسه.

العراق، صور سجن أبو غريب، تفجيرات شرم الشيخ والرياض ولندن وغيرها، اغتيال الشيخ ياسين وكذلك رفيق الحريري... الخ، وعشرات الأحداث الأخرى مثل الكوارث الطبيعية وثورات البراكين والهزات الأرضية والفيضانات كتسونامي مثلاً؛ الأمر الذي حول نشرة الأخبار في رأى بعض المتخصصين، إلى برنامج منوعات مليء بالإثارة، وعليه خرجت نشرة الأخبار من كونها برنامجاً يهتم به أناس قليلون لديهم اهتمامات بالسياسة؛ إلى برنامج جماهيري واسع الانتشار يرى فيه الناس متعة أكبر من مباريات كرة القدم والأفلام السينمائية.

وإذ أخذنا بالحسبان أن ما يعرفه الشباب العربي وخاصة الجامعي، عن السياسة وشؤون الحياة الأخرى، يصل أغلبه إليهم عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية في مقدمتها التلفزيون؛ إذ توصل "محمد الفقيه" إلى أن التلفزيون يعد المصدر الأول، الذي يعتمد عليه الجمهور اليمني في الحصول على المعلومات الأساسية. كما أكدت دراسة قامت بها "ليلي حسن" أن التلفزيون يعد المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه طلاب الجامعات المصرية في متابعة الأحداث الجارية. (38)

وأكدت دراسة قام بها "عادل عبد الغفار" أن التلفزيون المصري وقناة الجزيرة وقناة سي أن أن (CNN) الإخبارية، أهم المصادر التي اعتمد عليها طلاب الجامعات المصرية في متابعة أحداث 11 سبتمبر وتوابعها (39).

38. ليلي حسين السيد، دور وسائل الاتصال في إمداد طلاب الجامعات المصرية بالمعلومات عن الأحداث الجارية في إطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، المؤتمر العلمي السنوي الرابع لكلية الإعلام، الإعلام وقضايا الشباب، جامعة القاهرة، 1998، ص(176).

*: خبير إعلامي من المملكة العربية السعودية وكاتب وصحفي.
39. عادل عبد الغفار، مصادر معلومات طلاب الجامعات المصرية لمتابعة أحداث 11 سبتمبر وتوابعها، المؤتمر العلمي الأول لقسم الإذاعة والتلفزيون، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2002، ص (38).

أدركنا قوته في تشكيل المواقف والآراء وتوجيه السلوك والإرادة الشبابية نحو ثقافة ما، وبالتالي تقليد نماذج محددة من السلوك، وتبنيها في البناء المعرفي كبداهيات ومسلمات، ووقائع طبيعية ومتقبلة ضمن العرف الاجتماعي والتربوي والسياسي، يشجع على تكرار السلوك وتقبله كقيمة ايجابية، فأصبح التكسير والتخريب والشجارات والاعتداء أسلوب مقبول ومشروع، للتعبير عن الاستياء والمطالبة بالحقوق، وقس على ذلك فإن الأمثلة المجسدة لمظاهر العنف كثيرة، لا تعد وتحصى في الوسط الجامعي، تنتشر بصورة قد تصبح في المستقبل هي الظاهرة الأصل، والمظاهر السلمية هي النموذج الشاذ.

من هنا فان محاولة مناقشة موضوع العنف الإخباري المرئي عبر القنوات الفضائية الإخبارية العربية، وتأثيرها نفسيا واجتماعيا وثقافيا، على سلوك وقيم أطفالنا وشبابنا، تطرح تساؤلات عدة، جديرة بالبحث والدراسة والتحليل والتفسير من قبل المختصين، وربما يكون في مقدمة هذه التساؤلات:

هل بات المشاهد العربي متعودا على مشاهد العنف والخراب والدمار والقتل والاعتداء، حتى إستدخلها وأدمجها كثقافة عربية، وسلوك اعتيادي يتماشى مع تطورات العصر، مثله مثل موضة اللباس وقصات الشعر؟

الخاتمة:

أصبح الآن من المؤكد لدى الكثير من العلماء والباحثين، أن وسائل الإعلام والاتصال باختلاف أنواعها، تعد مؤسسة اجتماعية وتربوية تنافس بشدة وبقوة، كل من المدرسة والأسرة وبقية المؤسسات الاجتماعية في دورها الرائد، ألا وهو التربية والتنشئة الاجتماعية، ولعها وحسب الإحصائيات والدراسات أصبحت تتقدما وتتفوق عليها في التأثير والتغير، وتشكيل المواقف والاتجاهات، خاصة إذا علمنا أن الأطفال والشباب يقبلون عليها بشدة - بالتحديد المرئية منها مثل: التلفاز، القنوات الفضائية، والأجهزة التكنولوجية المتطورة والمزودة بخدمات الانترنت كالحاسوب المحمول، الهاتف المحمول، الأيفون، الأيباد... الخ - ويقضون فيها ومعها، وقتا ضعف الوقت الذي يقضونه مثلا في قاعات الدراسة أو المراجعة.

على هذا الأساس وانطلاقاً من موضوع التأثير الذي يحدثه العنف المرئي على المشاهدين، فإن اتجاها نظريا آخر يؤيده العديد من المختصين، يرى أن العنف الذي نشهده على الفضائيات عبر نشرات الأخبار، هو عنف يحاكي العنف الموجود في المجتمع، ولا يمكن أن ننسب دائما انتشار العنف بأشكاله المتنوعة، في أكثر من بقعة في العالم، إلى تأثير التلفزيون والوسائل الأخرى، إذ أن التلفزيون لا يمكن أن يكون المؤثر والسبب الوحيد في انتشار ظاهرة العنف، بل هناك أسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها، تساعد على ذلك منها: الأمية، البطالة، التطرف الديني، الصراع السياسي، تراجع مستوى التعليم عند الفرد... الخ.

وعليه فإن العنف المرئي، ليس مدخلاً وحيدا إلى تكوين العنف والانحراف عند الأطفال والشباب، انه يصبح كذلك إذا اجتمعت معه عناصر

أخرى، من هنا يكون لزاماً على كل المؤسسات والفعاليات في أي مجتمع، النظر بعين الاعتبار لخطورة ظاهرة الإدمان على متابعة ومشاهدة العنف المرئي، وما تخلفه من آثار سلبية مضرّة بالفرد والمجتمع، ومحاولة محاربتها كل من موقعه.

الاقتراحات:

1. موضوع العنف الإخباري المرئي، موضوع حديث نسبي، لم يأخذ حقه في البحث والدراسة والمعالجة، لذلك يكون من الأنسب اقتراحه كإشكالية، تستدعي الاستقصاء وجمع البيانات والحقائق العلمية الميدانية حوله، لمعرفة سبل التخفيف من آثاره السلبية على الأطفال والشباب.
2. إن معيار الجودة والمهنية والاحتراف، ومراعاة أخلاقيات العمل الإعلامي، هي أسس وقواعد تكفل بالضرورة، عدم انحراف العمل الإعلامي الإخباري عن دوره الأساسي، وتحوله إلى آلة لنشر العنف بين الأطفال والشباب.
3. إن الانفتاح الإعلامي المحلي والعالمي قد فرض نفسه، ولا يمكن منعه أو الوقوف أمامه، و لكن طرح البدائل من خلال إعلام يقدم الخدمة الإعلامية الراقية، ويحافظ على القيم التربوية، قد يكون بديلاً ناجحاً في المجتمعات العربية.
4. إن العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات التربوية، لا تكمن في كونها علاقة تنافس وتصارع على انتزاع الأدوار واخذ الصدارة، بل هي علاقة تكامل وتتداخل، تفرض على كل طرف أن يكمل الآخر ويساعده على إتمام أواره، من هنا وجب على القائمين بشؤون التربية والتعليم، والتنشئة الاجتماعية بشكل عام، إعادة النظر في هذه العلاقة وتوجيهها الوجهة الصحيحة، بما يخدم مصلحة الجميع.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956.
2. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.
3. انتصار إبراهيم عبد الرزاق وصفد حسام الساموك، الإعلام الجديد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سلسلة مكتبة العلام والمجتمع، جامعة بغداد، 2011 .
4. تهاني محمد عثمان منيب وعزة محمد سليمان، العنف لدى الشباب الجامعي، جامعة نايف للعلوم الامنية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2007.
5. حسن علوان، موضوعة الإرهاب في الفضائيات العربية (دراسة في الشكل والمضمون)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) في فلسفة الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، 2008.
6. خالد خريش، وسائل الاتصال الجماهيري، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس 28 أيلول 2006، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:
<http://www.annabaa.org/nbanews/59/211.htm>
7. خالد خريش، تاريخ العنف الإخباري، شبكة النبا المعلوماتية، الأحد 26 تشرين الثاني 2006، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:
<http://www.annabaa.org/nbanews/60/322.htm>
8. سعيد عبد الله حارب، الإعلام القيمي ونشر القيم في المجتمع، ندوة مستجدات الفكر الإسلامي التاسعة، تحت شعار: (الإعلام القيمي .. بين الفكر والتجربة)، دولة الكويت 7 و9/3/2011.
9. سعيد عبد الله حارب، الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية تكامل أم تناقض ؟
10. عادل عبد الغفار، مصادر معلومات طلاب الجامعات المصرية لمتابعة أحداث 11 سبتمبر وتوابعها، المؤتمر العلمي الأول لقسم الإذاعة والتلفزيون، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2002

11. عبد الرحمان العيسوي، علم النفس الحديث (اضطرابات الطفولة وعلاجها)، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000، ط1
12. قدرة عبد الأمير، العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة (مالمو) بالسويد، رسالة الماجستير في علم النفس، الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، أكتوبر 2008.
13. ليلي حسين السيد، دور وسائل الاتصال في امداد طلاب الجامعات المصرية بالمعلومات عن الأحداث الحاربة في اطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، المؤتمر العلمي السنوي الرابع لكلية الإعلام، الإعلام وقضايا الشباب، جامعة القاهرة، 1998.
14. محمد الشبة، العنف، تاريخ استخراج المقال: 2011/04/11، الموقع:
<http://search.4shared.com/q/20/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%81>
15. محمد جواد سنه، دور وسائل الإعلام في تنامي العنف والإرهاب، شبكة النبأ المعلوماتية، الاثنين 23 تشرين الثاني 2009، تاريخ استخراج المقال: 2011/04/27، الموقع:
16. <http://www.annabaa.org/nbanews/2009/11/256.htm>
17. محمد حميد الصواف، قناة الجزيرة...داينمو الانتفاضات العربية، شبكة النبأ المعلوماتية، الخميس 3 شباط 2011، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:
<http://www.annabaa.org/nbanews/2011/02/037.htm>
18. محمود حواس ، العالم العربي والأمية الثقافية، تاريخ استخراج المقال:
2011/05/19، الموقع:
<http://www.vb.eqla3.com/showthread.php?t=225075>

19. وجيهة ثابت العاني، اهتمامات الشباب الثقافية المعاصرة، مؤتمر الأطفال والشباب في مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، التصدي لتحديات التعليم دبي 16-18 مايو، 2005.
20. ياسر خضير البياتي، التأثيرات الاجتماعية المحتملة للتلفزيون على الشباب، مجلة شؤون اجتماعية، عدد 90.
21. العنف لدى الشباب، تاريخ الزيارة: 09/05/2011، الموقع:
<http://www.tebyan.net/society/theyouthworld/2004/5/15/28301.html>
22. قناة الجزيرة وازدواجية الطرح الإعلامي، شبكة النبا المعلوماتية، الخميس 5 أيار 2011، تاريخ استخراج المقال: 2011/05/11، الموقع:
<http://www.annabaa.org/nbanews/2011/05/068.htm>